

## تفسير البحر المحيط

@ 84 @ وشتان ما بين الطنين طن فرعون طن باطل ، وطن موسى طن صدق ، ولذلك آل أمر فوعون إلى الهلاك كان أولاً موسى عليه السلام يتوقع من فرعون أذى كما قال { إِنْ نَزَّلْنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى } فأمر أن يقول له قولاً لنا فلما قال له □ : لا تخف وثق بحماية □ ، فصال على فرعون صولة المحمي . وقابله من الكلام بما لم يكن ليقابله به قبل ذلك . ومثبور مهلك في قول الحسن ومجاهد ، وملعون في قول ابن عباس ، وناقص العقل فيما روى ميمون بن مهران ، ومسحور في قول الضحاك قال : رد عليه مثل ما قال له فرعون ما ختلاف اللفظ ، وعن الفراء مثبور مصروف عن الخير مطبوع على قلبك من قولهم : ما تبرك عن هذا ؟ أي ما منعك وصرفك . وقرأ أبي □ وإن أخالك يا فرعون لمثبوراً وهي أن الخفيفة ، واللام الفارقة واستفازه إياهم هو استخفافه لموسى ولقومه بأن يقلعهم من أرض مصر بقتل أو جلاء ، فحاق به مكره وأغرقه □ وقبطه أراد أن تخلو أرض مصر منهم فأخلاها □ منه . ومن قومه والضمير في { مِنْ بَعْدِهِ } عائد على فرعون أي من بعد إغراقه ، و { الْأَرْضِ } المأمور بسكنها أرض الشام ، والظاهر أن يكون الأمر بذلك حقيقة على لسان موسى عليه السلام ووعد الآخرة قيام الساعة . .

{ وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَّلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا \* وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكُوثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا \* قُلْ ءَامِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا \* وَيَقُولُونَ . .

وبالحق أنزلناه { هو مردود على قوله { \* } هو مردود على قوله { لِّتُنزِّلَ اجْتِمَاعَتِ الْإِنْسِ وَالْجِنَّ } الآية وهكذا طريقة كلام العرب وأسلوبها تأخذ في شيء وتستطرد منه إلى شيء آخر ثم إلى آخر ثم تعود إلى ما ذكرته أولاً ، وأبعد من ذهب إلى أن الضمير في { أَنْزَلْنَاهُ } عائد على موسى عليه السلام وجعل منزلاً كما قال { وَأَنْزَلْنَاهُ الْوَحْيَ الْغَيْبَ وَأَنْزَلْنَاهُ عَلَى الْقُرْآنِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ } وذكر على المعنى أو عائد على الوعد المذكور قبله . وقال أبو سليمان الدمشقي { وَبِالْحَقِّ } أي بالتوحيد ، { أَنْزَلْنَاهُ } أي بالوعد والوعيد والأمر والنهي . وقال الزهراوي : بالواجب الذي هو المصلحة والسداد للناس ، { وَبِالْحَقِّ نَزَّلَ } أي بالحق في أوامره ونواهيته وأخباره . وقال الزمخشري : وما أنزلنا القرآن إلا بالحكمة المقتضية لإنزاله وما نزل إلا

ملتبساً بالحق والحكمة لاشتماله على الهداية إلى كل خير ، وما أنزلناه من السماء إلاّ  
بالحق محفوظاً بالرصد من الملائكة ، وما نزل على الرسول إلاّ محفوظاً بهم من تخطيط  
الشياطين انتهى . وقد يكون { وَبِالْحَقِّ نَزَّلَ } توكيداً من حيث المعنى لما كان يقال  
أنزلته فنزل ، وأنزلته فلم ينزل إذا عرض له مانع من نزوله وجاء ، { وَبِالْحَقِّ نَزَّلَ }  
مزيلاً لهذا الاحتمال ومؤكداً حقيقة ، { وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ } وإلى معنى  
التأكيد نحا الطبري . وانتصب { مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا } على الحال أي { مُبَشِّرًا } لهم  
بالجنة ومنذراً من النار ليس لك شيء من إكراههم على الدين . .  
وقرأ الجمهور : { فَرَقْنَاهُ } بتخفيف الراء أي بيّنا حلاله وحرامه قاله ابن عباس ،  
وعن الحسن فرقنا فيه بين الحق والباطل . وقال الفراء : أحكمناه وفصلناه كقوله { فِيهَا  
يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ } . وقرأ أبيّ وعبد الله وعليّ وابن عباس وأبو رجاء  
وقتادة والشعبي وحميد وعمرو بن قائد وزيد بن عليّ وعمرو بن ذر وعكرمة والحسن بخلاف عنه  
بشد الراء أي { أَنْزَلْنَاهُ } نجماً بعد نجم . وفصلناه في النجوم . وقال بعض من اختار  
ذلك : لم ينزل في يوم ولا يومين ولا شهر ولا شهرين ولا سنة ولا سنتين . قال ابن عباس : كان  
بين أوله وآخره عشرون سنة ، هكذا قال الزمخشري عن ابن عباس . وحكي عن ابن عباس في ثلاث  
وعشرين سنة . وقيل : في خمس وعشرين ، وهذا الاختلاف مبني على الاختلاف في سنه عليه السلام ،  
وعن الحسن نزل في ثمانية عشر سنة . قال ابن عطية : وهذا قول مختل لا يصح عن الحسن . .  
وقيل معنى : { فَرَقْنَاهُ } بالتشديد فرقنا آياته بين أمر ونهي ، وحكم وأحكام ،  
ومواعظ وأمثال ، وقصص وأخبار مغيبات أتت وتأتي . وانتصب { قُرْءَانًا } على إضمار فعل  
يفسره { فَرَقْنَاهُ } أي وفرقنا { قُرْءَانًا \* فَرَقْنَاهُ } فهو من باب الاشتغال وحسن  
النصب ، ورجحه على الرفع كونه عطفاً على جملة فعلية وهي قوله { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ }  
. ولا بد من تقدير صفة لقوله { وَقُرْءَانًا } حتى يصح كونه كان يجوز فيه الابتداء لأنه  
نكرة لا مسوغ لها في الظاهر للابتداء بها ، والتقدير { وَقُرْءَانًا } أي قرآن أي عطيماً  
جليلاً ، وعلى أنه منصوب بإضمار فعل بفسره الظاهر بعده خرّجه الحوفي